وجهة دينية وسياحية عالمية في قلب العاصمة

مرقد الإمام الخميني(قدس).. تحفة معمارية تجمع الرمزية الدينية والحداثة الهندسية

الوفاق/ في أقصى جنوب العاصمة الإيرانية طهران، وعلى مقربة من مقبرة «جنة الزهراء(س)»، يرتفع مرقد الإمام الخميني(قدس) بوصفه واحداً من أبرز المعالم الدينية والثقافية والمعمارية في إيران الحديثة. ولم يعد هذا الصرح مجرد مكان للزيارة وإحياء الذكرى، بل تحول على السنين الماضية إلى مجَمّع متكامل يجمع بين الرمزية الدينية والابتكار الهندسي والخدمات الثقافية والسياحية. وبقبابه الشاهقة ومساحاته الواسعة وتفاصيله المعمارية المميزة، يقدم المرقد نموذجاً فريداً لمزج الهوية الإسلامية بالتخطيط العمراني الحديث، ليغدو محطة رئيسية تستقطب ملايين الزوار والمهتمين بالعمارة والثقافة من داخل إيران وخارجها.

والهندسة المعمارية الاسلامية التي استخدمت في بناء المرقد الطاهر امتازت بتصاميمها الخاصة والحديثة، كانت مثار اعجاب وانبهار كل من شاهدها عن كثب. وأن البناء الداخلي للحرم الذي أقيم على اربع قواعد، يوحي بعظمة خاصة للضريح. ويُعد مرقد الإمام الخميني(قدس) واحداً من أبرز المعالم الدينية والمعمارية في إيران الحديثة، حيث يجمع بين البعد الروحي والتاريخي من جهة، والتخطيط العمراني والخدمات السياحية المتكاملة من جهة أخرى، ليشكل اليوم وجهة رئيسية للزوار من داخل البلاد وخارجها ضمن مجَمّع متكامل في جنوب العاصمة.

من مرقد إلى مجَمّع حضاري متكامل

بدأت أعمال إنشاء مرقد الإمام الخميني(قدس) بعد عام من رحيله، ومنذ ذلك الحين شهد المشروع مراحل متعاقبة من التوسعة والتطوير، ليتحول تدريجياً إلى مجَمّع ديني وثقافي متكامل متعدد الوظائف.

ويتوسط المرقد هذا المجَمّع الواسع، الذي يضم مجموعة من المرافق الثقافية والخدمية والمتاحف، فيما لا تزال بعض المشاريع قيد التنفيذ ضمن خطط التطوير المستمرة. ومن أبرز هذه المشاريع متحف جديد انطلقت أعمال إنشائه عام ٢٠٢٣ في إطار برنامج توسعة شامل يهدف إلى تعزيز البنية الثقافية للموقع وتوسيع خدماته.

كما تتضمن الخطط المستقبلية إضافة مرافق ومنشآت جديدة من شأنها تعزيز الدور الثقافي والسياحي للمجَمّع، بما يرسخ مكانته مركزاً متكاملاً يجمع بين الزيارة الدينية والأنشطة الثقافية والخدمات السياحية.

هندسة معمارية ذات بعد رمزي

يُعد المرقد واحداً من أبرز المشاريع المعمارية الحديثة في إيران، حيث صممه عدد من أبرز المعماريين الإيرانيين، مع اعتماد رؤية تجمع بين الرمزية الدينية والابتكار الهندسي.

وقد روعي في تصميمه منذ مراحله الأولى الظروف المناخية في طهران، خاصة حرارة الصيف والرياح الشتوية، حيث استُخدمت تقنيات معمارية تستفيد من التهوية الطبيعية وتيارات الهواء الصحراوي لتبريد الفراغات الداخلية.

ويُنسب التصميم الرئيسي إلى المعماري الإيراني البارز برويز مؤيدعهد، إلى جانب مساهمات عدد من المعماريين مثل محمد تهراني وعطاء الله إميدوار وسيد محمد صنيع خاني.

ويتميز البناء بقدرة إنشائية عالية تشير تقديراتها الفنية إلى احتمال مقاومة زلازل تصل إلى ١٠ درجات على مقياس ريختر، ما يعكس مستوى متقدماً من الهندسة الإنشائية.

أرقام ومعانٍ.. لغة الرموز في تصميم الحرم

يحمل التصميم المعماري للحرم أبعاداً رمزية واضحة، إذ يتألف من خمس قباب رئيسية تجسد أصحاب الكساء من أهل البيت (عليهم السلام)، بينما يبلغ ارتفاع القبة الذهبية الرئيسة نحو ٦٨ متراً، في إشارة إلى العام الإيراني الذي توفي فيه الإمام الخميني(قدس).

وتعزز المآذن الأربع هذا البعد الرمزي، إذ يصل ارتفاعها إلى نحو ٩١ متراً، بما يرمز إلى سنوات عمر الإمام، فيما ترتفع الأعمدة الداخلية إلى نحو ٤٢ متراً، لتضفي على الفضاء الداخلي إحساساً بالاتساع والهيبة المعمارية.

ويستند التصميم الداخلي إلى أربعة أعمدة خرسانية ضخمة، ليأخذ شكل «الخيمة»، بما يعكس مفاهيم ومعاني المستوحاة من الثورة الحسينية، في دمج واضح بين الرمزية الدينية والتصميم الهندسي، وصُمم على شكل مربع يبلغ طول ضلعه ١٢٦ متراً، قُسم إلى تسعة مربعات فرعية متساوية، ويضم خمسة مداخل رئيسية تسهّل حركة الزوار. ومنذ عام ١٩٩١ دخل المشروع مرحلة التنفيذ وفق الطراز المعماري الإسلامي، حيث بدأت أعمال تطوير الساحات الشرقية والغربية على مساحة تقارب ١٢ هكتاراً، مع خطط لإنشاء مرافق فندقية وصحية لخدمة الزوار.

وتشير بيانات إلى أن المساحة المغطاة للضريح تبلغ نحو ٦٠ ألف متر مربع، بينما تبلغ مساحة القسم الرئيسي نحو ١٥ ألف متر مربع، مع استمرار التوسع المستمر.

ويعكس هذا التنوع رؤية معمارية مركبة تجمع بين الحداثة والهوية الدينية، ما يمنح المرقد طابعاً بصرياً فريداً.

قباب ومآذن تحكي سيرة وتاريخاً

إلى جانب القبة الذهبية الرئيسية، تضم الساحات أربع قباب فيروزية مزخرفة بنقوش إسلامية وزخارف هندسية ومرايا فنية تعكس جماليات العمارة الإيرانية.

وقد تم استبدال القبة الذهبية الرئيسية عام ٢٠٠٧، حيث يبلغ وزن هيكلها الفولاذي نحو ٣٤٠ طناً، فيما يصل الوزن الإجمالي مع الغطاء الخارجي إلى نحو ٤٠٠ طن.

وجهة دينية وسياحية عالمية

تحوّل مرقد الإمام الخميني(قدس) خلال العقود الماضية إلى وجهة دينية وسياحية متكاملة في جنوب طهران، لا تقتصر على الزيارة الدينية، بل تشمل مجموعة واسعة من الخدمات والمرافق.

يمثل مرقد الإمام الخميني(قدس) نموذجاً فريداً لمشروع يجمع بين العمارة الحديثة والرمزية الدينية والتخطيط السياحي المتكامل، ليبقى أحد أبرز المعالم الدينية–الثقافية في العاصمة الإيرانية طهران، ووجهة رئيسية تعكس تداخل التاريخ بالهوية والمعمار بالخدمة العامة.

وعلى امتداد أكثر من ثلاثة عقود من التطوير والتوسعة، رسّخ مرقد الإمام الخميني(قدس) مكانته كأحد أبرز المعالم الدينية والثقافية في إيران، ليس فقط لما يحمله من رمزية تاريخية، بل لما يمثله من تجربة معمارية وإنشائية متقدمة تجمع بين البعد الروحي والوظيفة الحضارية. وبين القباب الذهبية والساحات الواسعة والمشروعات الثقافية المتنامية، يواصل هذا الصرح ترسيخ حضوره بوصفه نموذجاً يجمع الذاكرة الوطنية والهوية الدينية والرؤية العمرانية الحديثة في مشهد واحد.

من قم إلى جماران.. فضاءات البساطة التي صنعت تاريخ الثورة الإسلامية

في الذاكرة السياسية والدينية المعاصرة لإيران، لا تُعدّ الأماكن مجرد فضاءات للسكن أو الإقامة، بل تتحول في بعض الحالات إلى شواهد حية على مراحل مفصلية من التاريخ. ومن بين أبرز هذه الشواهد، تبرز بيوت الإمام الخميني(قدس) في مدينة قم المقدسة وطهران، التي لم تكن مجرد بيوت متواضعة، بل مراكز للنشاط العلمي والديني والسياسي، وفضاءات شهدت تحولات كبرى أسهمت في رسم ملامح الثورة الإسلامية ومسارها.

يُعد بيت الإمام الخميني(قدس) في مدينة قم المقدسة، ولا سيما البيت الواقع في محلة «يخجال قاضي»، أحد أبرز المواقع المرتبطة بسيرته خلال فترة إقامته في المدينة، حيث اكتسب هذا البيت شهرة واسعة لكونه احتضن مراحل مهمة من نشاطه العلمي والديني والسياسي، وأصبح لاحقاً من أبرز الوجهات التي يقصدها الباحثون والزوار المهتمون بتاريخ الثورة الإسلامية.

اشترى الإمام الخميني(قدس) هذا البيت نحو عام ١٩٥٦م، بعد أن لم يكن يملك بيتاً في قم، حيث تم تأمين ثمنه البالغ نحو ثلاثة عشر ألف تومان من بيع عقار ورثه عن والده في مدينة خمين. وقد أقام فيه حتى الأيام الأخيرة من وجوده في قم المقدسة، قبل أن يُنفى إلى تركيا ثم إلى النجف الأشرف، حيث وُضع المنزل لاحقاً تحت تصرف أحد أفراد أسرته.

وعقب انتصار الثورة الإسلامية وعودة الإمام إلى إيران، برزت تحديات تتعلق باستيعاب الأعداد الكبيرة من الزوار وطلاب العلم الذين توافدوا للقاء سماحته، نظراً لموقع البيت في أزقة ضيقة لا تسمح بالحركة الواسعة. وهو ما أدى إلى ترتيبات سكنية بديلة داخل مدينة قم المقدسة، شملت استخدام بيوت مجاورة وتحويل بعضها إلى مكاتب للنشاط الديني والسياسي.

ورغم طابعه المتواضع، تحوّل بيت «يخجال قاضي» إلى مركز متعدد الأدوار، إذ استُخدم لاستقبال الزوار وطلاب العلم، ومتابعة الشؤون الدينية والاجتماعية، إضافة إلى كونه مساحة للنقاشات الفكرية والنشاط السياسي. كما شهد خطابات ومواقف بارزة، من بينها خطاب احتجاجي عام ١٩٦٢م، شكّل إحدى المحطات المفصلية في مسار الأحداث السياسية آنذاك، وانتهى لاحقاً باعتقال الإمام ونفيه عام ١٩٦٣م.

ويعكس هذا البيت نموذجاً واضحاً لأسلوب حياة اتسم بالزهد والبساطة، حيث تداخل فيه اليومي بالديني، والسياسي بالفكري، ضمن إطار متقشف بعيد عن مظاهر الترف.

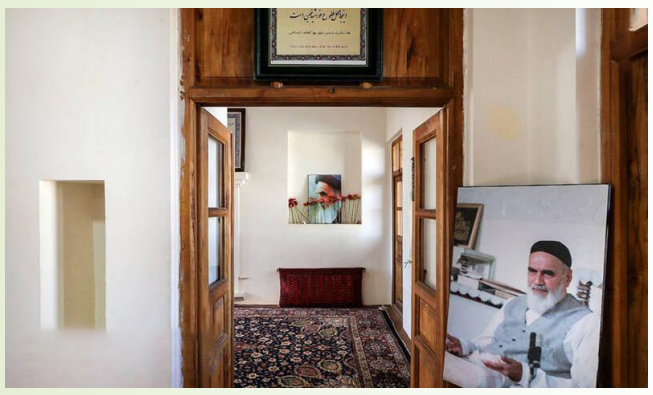

«جماران».. مقر القيادة بين الجبل والمدينة

تبدأ طهران من سفح سلسلة جبال ألبرز وتمتد على الاراضي الواقعة بين الجبل والهضبة، وتلقي التعرجات الصخرية لجبال ألبرز، التي تتضح معالمها اكثر في دماوند وتوجال، بظلالها على مدينة الشمس، وبلطف اللطيف الخبير تتنفس طهران النسيم الذي يهب من أطراف سفوح الجبال.

العمارة التي تشهدها حالياً قرية جماران، الإرث المتبقي من بساتين طهران في العصر الصفوي، تجسد مدى التداخل بين الأصالة والحداثة.

لازال النسيج القديم لقرية جماران، بجدرانها الصخرية وحيطانها الطينية، يطل عبر نافذة الابراج السكنية والعمارة الحديثة، وتتعالى من بين ثنايا أزقتها الضيقة المغطاة بالأشجار، موسيقى زقزقة العصافير وهديل الطيور.

الإمام الخميني(قدس)، الذي كان يملك قلباً بطهارة البحر وروحاً بصلابة الجبل ورسوخه، إتخذ من هذه القرية مقراً له. وكان نبع كلامه الزلال يجري من سفح جبال ألبرز كل يوم، ليمنح الصحاري اليابسة والعطشى بركة الماء والحياة، وقرر الإمام الخميني(قدس) الإقامة في قرية جماران استجابة لنصيحة الأطباء، والنزول في بيت يلتصق فناؤه بالجدار الخلفي لحسينية جماران.

بيت الإمام الذي تم استئجاره، عبارة عن مبنى آجري متواضع ذي باحة تقدر مساحتها بـ (٤٠) متراً مربعاً تقريباً، تلتصق بالحائط الخلفي لحسينية جماران. وقد وضع جسر مؤقت يصل شرفة البيت المطلة على الباحة بالشرفة . المنصة . داخل الحسينية، يسلكه الإمام للذهاب الى الحسينية.

وفتح باب يوصل باحة البيت بالشرفة داخل الحسينية، وكانت شمس جماران تطل من الشرفة السامقة كل صباح، على الشجرة الوارفة لأيادي عشاقها ومريديها.

تضم غرفة استقبال الإمام لضيوفه، مكنبة متواضعة ورف جداري بسيط، وتفضي الى غرفة أخرى، وهما بمثابة مكتب الإمام والمكان الذي يلتقي فيه زائريه، وكان الكثير من المسؤولين المحليين والأجانب يلتقون هلال شهر جماران في هذا المكان.

حافظت حسينية جماران، التي يتجاوز عمرها نحو مائة وأربعين عاماً بنوافذها وبوابتها المقوسة الشكل، على بساطة أعمدتها الفولاذية وسقفها وجدرانها بإصرار من الإمام، وكانت نوافذ الحسينية المقوسة وبوابتها المشبكة والكبيرة نسبياً، تختفي أحياناً وسط اعصار حشود عشاق الإمام ومريديه.